

أبعاد توظيف الأساطير في الخطاب الروائي الجزائري.

د. لزهة مساعدي

المركز الجامعي لميلة

• توطئة:

إن الرواية بوصفها إبداعا لا يمكن فصله فصلا نهائيا عن مجاله التاريخي ، لذلك فإنها في حالة استدعائها للأسطورة، وجب تحيينها، وما غرض ذلك في أغلب الأحيان إلا لإضاءة البعد الحضاري والإنساني لها. إذ الأسطورة ليست " مجرد قصة تروى وتشير في خير حالاتها إلى مغزى ... وإنما تتخطى حدود هذه النظرة البسيطة المباشرة لتتحول إلى مؤشر حضاري يتعامل مع الوجود الإنساني في انتشاره مكانيا واستمراره زمانيا " ¹.

وقد كان لعودة الروائيين الجزائريين إلى الأسطورة وتوظيفها في رواياتهم أن سمحت لهم باختراق الممنوع والولوج إلى عوالم غير مألوفة قصد التعريض عن عوالم مألوفة وبالتالي أصبح توظيف الأسطورة يخدم الجوانب الاجتماعية والإيديولوجية والسياسية إضافة إلى الجوانب الفنية الجمالية. كما كان لتوظيف الكتاب الجزائريين الأسطورة واستثمارها في بناء خطابهم الروائي أبعاد ودلالات فكرية واجتماعية، وأخرى فنية وجمالية.

لذلك سوف يسعى هذا المقال إلى محاولة تبين كل من أبعاد توظيف الأسطورة في الرواية الجزائرية حيث سنعرض إلى البعد الإيديولوجي والبعد السياسي والبعد الاجتماعي.

Résumé de l'article

Cet article vise à essayer de montrer toutes les dimensions de l'emploi du mythe dans le roman algérien où nous montrerons à la dimension idéologique des dimensions politiques et sociales.

1. البعد الإيديولوجي:

يحظى تراث الدشرة في "الجازية والدرأيش" باحترام جل السكان، ولكن تراث الدشرة الذي حظي بالقداسة من قبل جل السكان يتعرض لامتحان قاس بقدوم الثورة، ودخول الأفكار الجديدة إلى جزائر ما بعد الاستقلال. وقد صور ابن هدوقة هذا الوضع الجديد، وعبر فنياً عن الصراع الذي دار بين فئة مشدودة إلى الماضي، وأخرى تتطلع إلى المستقبل، بين فئة تتمسك بالقديم، وتريد المحافظة عليه، وفئة أخرى ترفض القديم، وتعتبره خرافة. وقد بنى ابن هدوقة روايته على تيارين متضادين:

تيار متمسك بالتراث: ويمثله جيل الآباء الذين أظهروا تمسكهم بالدشرة، ويقولون أن "الدشرة هي جنتنا، وهي سجننا! لا يستطيع أحد أن يخرجنا منها" ².

• تيار رافض له: ويمثله الطلاب الذين جاؤوا من المدينة لزيارة الدشرة، وإعداد دراسة من أجل إقامة مشروع تحديشي، لنقل سكان الدشرة من حياة التخلف إلى مستقبل الحضارة والتقدم والرقى. وهذا ما حمل "حجيبة" على رفض العادات والتقاليد التي يقدها الجيل القديم في دشرتها، فتقول لأخيها: "سمعت ما قال لك أبي لا تهتم كثيراً بحديثه، هو يريد منا أن تعيد أنت حياتك، وأعيد أنا حياة أمي! أنا أحيا حياتي ولو كانت سوداء" ³.

وربطت الجازية بالأرض ترميزاً. ومعروف وجه الأسطورة عند القدامى في الأرض الأم التي حسب بعضها لا يجب أن تجرح بالحرث. وإن جرحت في الرواية ستبقى قرينتها الجازية الأم ...

أما "الطاهر وطار" فلقد آمن بالملكية الجماعية للتراث، وهذا لا يخفى كونه مبدأ أساساً من مبادئ الاشتراكية في وسائل الإنتاج والاستهلاك التي مافتئ الكاتب يهلهل ويدعو لها، ونظراً لأن التراث يستهلك في بناء الأعمال الأدبية بهدف إقامة عودها لذا قد جاز أن

¹ - لطفي عبد الوهاب يحيى. الأسطورة والحضارة والمسرح. في مأساة أوديب ملكا. مجلة عالم الفكر. مج 16. عدد 3. الكويت. 1985. ص 92.

² - عبد الحميد بن هدوقة، الجازية والدرأيش. ص 106.

³ - المصدر نفسه. ص 133.

يطبق عليه المبدأ. يقول الكاتب في ذا الصدد: "وظفت الأدب اليوناني حين استحضرت أسطورة برومثيوس كجزء من ثقافتني، وباعتبار أن التراث ملكية إنسانية مشتركة بين جميع الشعوب..."⁴.

ففي رواية "اللاز" وعلى الرغم مما يحيط بالرواية من بعض الملامح الأسطورية إلا أنها تعد تصويراً لواقع الثورة والمجتمع الجزائري، كما تعد تجسيدا لأزمة الهوية، حاول الكاتب فيها رصد تناقضات الثورة الوطنية الجزائرية، ودور الشيوعيين في ثورة التحرير وقد يكون اللاز في الرواية رمزا إلى الشعب وإلى نضاله...

لذلك لم يكن توظيف الروائيين الجزائريين في رواياتهم من أجل إعادة الأسطورة وهي ناضجة مكتملة، بل النظر إليها على أنها منتج أشبه ما يكون بالمشوه يجب أن يفكك ويعاد بناؤه وفق رؤية أهل الزمن الحاضر لإفساح المجال أمام مستويات التأويل المتعددة، يقول الباحث نضال الصالح في ذلك: "... فإن أسطورة الروائي لنصه، أو استلهامه لأسطورة ما، لا يكمنان في إعادة إنتاج ذلك المنجز، بل في تفجير برؤى ودلالات جديدة تحمل موقفا من الراهن. بمعنى عصرنة الأسطورة على المستويين الدلالي والبنائي، وتحويل النص المؤسطر من كونه عملا مكتملا إلى عمل يحتاج إلى قراءات متجددة..."

2- البعد الاجتماعي.

لقد صرح الطاهر وطار في غير مرة بأنه كثيرا ما يلجأ إلى خلط الواقع المعقول بالخيالي العجائبي لا لشيء إلا لخدمة الواقع حيث قال: "وفي ((الزلال)) لا أرى خطابا سياسيا وإنما بلورة لعاطفة الإقطاع تجاه مدينة صغيرة وجميلة (قسنطينة) وأعالج من خلال ذلك وضع الناس في عالم الفلاحة والبطالة في عالم غير مصنع. فالرواية تضم سبعة فصول منها أربعة فصول عن واقع المدينة بينما الباقي تشكل رموزا يختلط فيها الماضي بالحاضر، والواقع بالوهمي والخيالي"⁵. فكما يقول شكري عزيز: «ويتخذ البعض الآخر من توظيف الأسطورة وسيلة لتجنب اتخاذ موقف إزاء المشاكل الاجتماعية الجوهرية أو اتخاذ موقف اللاموقف - اللامنتمي - بإعفاء نفسه من واجب المشاركة في العمليات الاجتماعية...»⁶. يبدو أن وطار قد وظف الأسطورة في روايته لاتخاذ موقف إزاء قضية اجتماعية ألا وهي الإقطاع بعد الاستقلال. ولم يغترب عن مجتمعه.

فكان الأسطورة لم تظهر "استجابة لدافع المعرفة والبحث، ولا علاقة لها بالطقس أو البواعث النفسية الكامنة، بل هي تنتمي للعالم الواقعي وتهدف إلى تحقيق نهاية عملية فهي تُروى لترسيخ عادات قبلية معينة أو لتدعيم سيطرة عشيرة ما أو أسرة أو نظام اجتماعي"⁷. ومما ورد في الرواية يعكس ظاهرة مستشرة في المجتمع العربي عامة والجزائري خاصة. كره زوجة الأب لأبناء زوجها من غيرها وتطيرها منهم ووجه الأسطورة في التطير معروف: " زوجة أبي الثانية كانت تقول عني رأس البومة وجه النحس منذ برز على الحياة برزت معه الآلام كل مولود في البيت يموت كل زوجة يتزوج عليها. أكل رأس زوجته ورأس أخيه ورأس زوجة أخيه. ثم ها هو يأكل رأس أبيه سيأكل رأس كل من في البيت ويبقى وحده كالتيبيب لاجار ولاقريب. خراب بيت بو الأرواح سيكون على يديه"⁸.

كذلك تم توظيف الأساطير المتعلقة بقضية القضاء والقدر (أي الجبر) نظرا لأن فئات المجتمع قدأمنت بفكرة الجبر بل "بادرت إلى اعتناق هذا المذهب الفكري، وسلمت تسليما باتا بالجبر، ورفضت الاختيار مختارة. وأشاعت شعارا رفعته في المآقط، ورددت في المقامات، وهو (المكتوب)، ويريدون به أن ما كتب الله للمرء، أو ما كتب عليه في اللوح المحفوظ، لاحقه حتما، ومن العبث أن يحاول فهم ما يجري من حوله، فهو مسير لا مخير، وكل عمل ذي شأن هو فاعله أو تاركة، إنما يكون على قدر قدر له منذ الأزل، فالأقلام رفعت، و الصحف طويت، وقد انتهت كل شيء، وهذه الأفكار هي نفسها التي كان يرددها جهم بن صفوان وأصحابه، منذ مطلع القرن الثاني الهجري، ولكن الاختيار هو السلوك، وهو المعمول به في السنة المحمدية"⁹.

⁴ - ينظر الموقع الإلكتروني: <http://membres.multimania.fr>

⁵ - عبد العالي رزقي. حوار مع الطاهر وطار. ص 88.

⁶ - شكري عزيز ماضي. انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية. ص 179.

⁷ - فراس السواح. مغامرة العقل الأولى. ص 15.

⁸ - الطاهر وطار. الزلال. ص 178.

⁹ - عبد الملك مرتاض. عناصر التراث الشعبي في اللاز. ص 21.

وقد تم توظيف هذه الفكرة للهروب من الواقع المر الذي كثيرا ما ساء في وجه الأفراد لذلك يجدون في الإيمان بجبرية ما يحدث تخفيفا للآلام التي تلحقهم ، وهذا في الحقيقة استسلام استوجب نوعا من التبرير فتأتت هذه الفكرة بل هذا المذهب ليبرر الصبر والاستسلام والخنوع...

كما تعد الدراويش في "الجازية والدراويش" وسيطا بين العالمين ، عالم الغيب و عالم الدشرة ، ولم يكن توظيف الأسطورة في رواية "الجازية و الدراويش" من أجل الأسطورة في حد ذاتها بل كان يعبر عن واقع مرتبط بالمجتمع بما فيه العادات و التقاليد و الطقوس الأسطورية الموروثة جيلا عن جيل. فتوظيف الأولياء الصالحين لا يعبر إلا عن الاعتقاد السائد بهم في مجتمعنا واعتبارهم يمثلون السلطة المرجعية المقدسة التي يعود إليها الفضل أحيانا في الإنجاب لذلك كان من الواجب في نظر البعض الذهاب إلى الولي و تقديم النذر ...

1. البعد السياسي:

انطلاقا من أنه لا يمكن عزل عمل الأديب عن الوضع السياسي المحيط به ما دام الأدب ابن بيئته ، فالمثقف الذي يعتزل السياسة هو في الحقيقة مثقف مزيف الثقافة ، لأن قيادة المجتمع ليست للسياسة فقط ، بل على المثقف - لا سيما إن كان مبدعا - أن يكون له دور في إدارة دفة الحكم¹⁰.

من هذه الفكرة انطلق الروائيون الجزائريون في رؤيتهم الروائية ، لاسيما أن معظمهم قد عاصر أحداثا تاريخية مهمة في حياة الجزائر . فهم يعيشون في واقع عربي كثيرا ما يضيق الخناق على الكاتب ، و يسلبه حريته ، فضلا عن الرقابة المفروضة عن الإنتاجات الأدبية و الإبداعية ، في حين أن المتطلعين إلى غد أفضل يقفون وراء الحرية ، و الحالمين بمدينة أجمل و إنسانية أعمق الذين يعلمون تماما أنهم في حربهم مع القوى الأخرى قد يعرضون أنفسهم لمصاعب لا حصر لها ، قد تضطربهم إلى التضحية بأنفسهم¹¹.

وقد دفعت هذه الظروف المبدع الجزائري إلى "الانتكاف و التحايل على قوانين الرقابة من خلال استخدام الرموز الخفية عن عقل الرقيب ، فكان له أن وجد في الأساطير و التاريخ مادة غنية في الأحداث و الدلالات التي يمكن إسقاطها على واقعنا المعاش"¹². ولم يكن توظيفهم للأساطير مثلما كان عليه الحال في عصر الإقطاعيين في أوروبا، حيث كانت وظيفة الفن حينذاك لا تعدو أن تكون خلقا لعالم " كامل فسيح من الوهم يصرف الناس عن التأمل بعمق في واقعهم إلى عالم يقوم على الوهم والإسراف في الخيال، تجد فيه الطبقة الإقطاعية تسليتها، وتجد فيه الطبقات المحرومة عزاء عن بؤس واقعها. وطبيعي أن يكون مجال هذا الفن هو مغامرات أبطال وفرسان أسطوريين يتميزون بالشجاعة الخارقة، وبقدرة سحرية.. ويحفل عالمهم بالغيبيات والخرافات والأساطير"¹³.

ويكتسب التوظيف الأسطوري أهميته من خلال جملة التحولات التي تطرأ على عناصر الأسطورة الأم وذلك بالاهتمام بجزيئات أسطورية دون أخرى تخدم الموضوع المطروق ، فيكون الاشتغال عليها بغية تقجير قواها الرمزية عن وعي وسبق إصرار وترصد ولا تردد ، إذ يختلف حضور الأسطورة في الحقيقة بين أن تأتي الأسطورة عفويا أو عن وعي وقصد بتوظيفها .

وانطلاقا من أن لا مكان للبراءة في عمل المبدع ، يتم تقييم عمل المبدع عن مدى نجاعة العناصر الأسطورية التي استلهمها في خدمة الأغراض التي ينشدها من وراء عمله . والمجتمع الجزائري كباقي المجتمعات العربية ما يزال "محكوما ، عبر أزمنة انتقاله الثوري بفكر أسطوري ضارب الجذور في أجهزة الحكم العربية بالرغم من ابتعاد بعضها ابتعادا نسبيا عن الممارسة الأسطورية السياسية . فهذا المجتمع بتكوينه الطبقي يعطي الأسطورة المعلنة أو المغلفة بشيء من العلم الحديث ، دورا أساسيا ، فهي بذلك ذات تأثير جماهيري حاسم. وهذا التأثير لا يعود إلى أوضاع التخلف الاجتماعي والثقافي والعلمي فحسب، بل يعود أيضا إلى أن الفكر الثوري اليساري لم يتكون بعد عبر الممارسات الشعبية النضالية ، كبديل للفكر الأسطوري"¹⁴.

¹⁰ - سليمان الطراونة . المثقف و السلطة . أفكار . ع 125 عمان . 1996 . ص 43.

¹¹ - نجيب محفوظ . حول العدل و العدالة ، ط 1 ، الدار المصرية اللبنانية . القاهرة . 1996 . ص 18 .

¹² - خالد خضر . الأسطورة و الإبداع مدخل و إشكالات في الأسطورة و الإبداع . جائزة الشارقة للإبداع العربي . دائرة الثقافة و الإعلام . 1998 . ص 145.

¹³ - بدر عبد المحسن طه . تطور الرواية العربية الحديثة في مصر . 1938 - 1970 . " دار المعارف . ط 2 . القاهرة . 1968 . ص 190.

¹⁴ - خليل أحمد خليل . مضمون الأسطورة في الفكر العربي . ص 190 .

فلم يكن للأدباء بد من التوجه بالأسطورة " توجهها ثوريا ، فحتى العقلية الشعبية في تقييمها أصبحت تطرح قضية القصر موازية لقضية الخبز ، وبشكل واضح ، وتطرح الصراع الطبقي كبديل للغموض الغيبي ، الذي لا يعمل إلا على تكريس العقلية المتخلفة" ¹⁵ . فاللجوء للأساطير كما يقول شكري عزيز ماضي: "يعتبر طريقا يخلص الكاتب من إزعاج السلطة، التي تعتبر قوة ضاغطة على صدر البطل من بين القوى الأخرى التي تشكل أزمته" ¹⁶ .

ففي رواية "لونجة والغول" الفاتاة لونجة هي ثمرة اغتصاب غول لأمرها الجميلة تقول الرواية: " ولأنه تزوجها دون رضاها ، فقد وضعت له ابنة جميلة مثلها ، ولا تشبهه في شيء ، هذه الفتاة هي أنت يا مليكة ، عفوا بل هي لونجة ، مليكة أو لونجة ، كلاهما واحد يا مليكة ، تتكرران في الزمان والمكان ، وتولدان في كل مرة من رحم العذاب والجمال ، لتدخلا كل مرة عالم الخلود ، وتبقى للعاشق نورة يسقيها كل لحظة ، يسقيها بماء الحب وعطر الحياة ، نورة لا تذبل أبدا ، ولا قدرة لأحد على قطفها من جديد ، إنها هذه المرة سقيت بشلالات مرجانية تجمعت من كبد الزمن العصي" ¹⁷ .

فالرواية مشبعة بالرمز إذ يحيل الغول الكائن الأسطوري المرعب المخيف إلى المستعمر الفرنسي الهامي أو الزمن الصعب إبان الثورة التحريرية الكبرى ، أما عن الأم التي اغتصبها ذاك الغول فهي الجزائر الجريحة القابعة تحت نير الاستعمار وقد نتج عن هذا الاغتصاب لونجة التي قد تشير إلى الثورة أو إلى الجزائر المعاصرة التي لم تكن بصورة المغتصب الغول .

وفي رواية "الشمعة والدهاليز" فالدهاليز لا نراها ترمز إلا إلى ظلمات فوقها ظلمات ، كما يمكن أن يستحضر اللفظ معه أماكن الظلمة جميعها كالكهوف والمغارات والمتاهات وهي أماكن تبعث على الرهبة والخوف والرعب في نفسية البشر . وقد قابلها الروائي بالشمعة التي على الرغم من ضالة شعاع نورها إلا أنها تعني حضور النور . حضور التضحية بالشمعة تحترق من أجل الآخرين . فهو إذن جمع بين المتناقضات نتيجة الصراع الدائم بين اليأس والأمل فالرواية تتأسس ، شأنها شأن الأسطورة، انطلاقا من عنوانها الذي يختصر معناها العام، على ثنائية كبرى وهي النور والظلام ، وقد تتخذ هذه الثنائية صيغة أخرى تتمثل في الحضور والغياب فالحضور حضور القيم السلبية (الظلام . المتاهة . الخوف...) و غياب القيم الإيجابية (النور . الأمل...) أو العكس أو التلازم...

وهذه الخاصية - خاصية الجمع بين المتناقضات - ذاتها كثيرا ما تظهر عند الأدباء والروائيين بشكل خاص ، تتأتى انطلاقا من إحساس " تتجمع فيه المتناقضات بما فيها من مضامين و أزمنة و أمكنة ، وما إن تصل نقطة التجمع هذه حتى تسير في دهليز الإبداع ، و لا تخرج منه إلا وقد اكتسبت إيقاعا جديدا في مضمونه وزمانه و مكانه" ¹⁸ . فإذا أسقطنا هذه الرموز عن زمن الكاتب وهواجسه وكذا أحداث القصة ، يتجلى لنا بوضوح بأن توظيف "الشمعة" والدهاليز يكشف ويجسد ذاك الضياع الذي شهده الإنسان بين الاختلافات

الدينية واللغوية والسياسية والطبقية. فصار قابعا في متاهات يقول عنها الطاهر وطار على لسان الشاعر: "إنها تفاصيل التفاصيل ، أدخل القضية أو المسألة الواحدة، ملايين إن لم تكن ملايين القضايا ، بدون تحليلها والوقوف عليها ، كلها لا تجد بابا في دهليز القضية التي أنت بصدد اقتحامها . بل إن سراديب تنفتح أمامك فتروح تنزل مدفوعا بقوة ما لا تدري ماهيتها وكلما اقتحمت سرادبا وجدت نفسك في دهليز آخر ينفتح على سراديب ، تمتصك فتتنزل وتنزل لا إلى مكان إنها لدهاليز وسراديب ممتصة أخرى" ¹⁹ .

وعلى الرغم من أن الطاهر وطار قد عمد إلى توظيف عناصر أسطورية في روايته الزلزال وقد صرح في غير مرة بأنه كثيرا ما يلجأ إلى خلط الواقع المعقول بالخيالي العجائبي لا لشيء إلا لخدمة الواقع حيث قال: "وفي ((الزلزال)) لا أرى خطابا سياسيا وإنما بلورة لعاطفة الإقطاع تجاه مدينة صغيرة وجميلة (قسنطينة) وأعالج من خلال ذلك وضع الناس في عالم الفلاحة والبطالة في عالم غير مصنع. فالرواية تضم سبعة فصول منها أربعة فصول عن واقع المدينة بينما الباقي تشكل رموزا يختلط فيها الماضي بالحاضر ، والواقع بالوهمي

¹⁵ - واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 589 .

¹⁶ - شكري عزيز ماضي ، إنعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية ، ص 179 .

¹⁷ - زهور ونيسي . لونجة والغول . ص 142 .

¹⁸ - محمد شاهين . الأدب و الأسطورة . بيروت . المؤسسة العربية للدراسات و النشر . ط 1 . 1966 . ص 88 .

¹⁹ - الطاهر وطار . الشمعة والدهاليز . ص 10 .

والخيالي²⁰، إلا أننا نقوله ما لم يقل ونقول أنه قد حاول وطار في رواية "الزلال" اللجوء إلى كتابة التمرد ونقد الوضع السياسي ليس لكونه كاتباً فقط، إنما باعتباره عنصراً فاعلاً في المجتمع، ومن النخبة المثقفة لذلك سعى إلى تبين ما يعاينه المثقف من تهميش بسبب معارضته للسلطة.

أما في رواية "الحوات والقصر" فنجد اللجوء إلى الأسطورة لم يكن إلا ابتغاء تفادي التصادم مع السلطة الحاكمة ولا يشي بذلك "إفصاح وطار نفسه، في حوار معه، عن لجوئه إلى الأسطورة للتعبير عن وطأة الواقع السياسي الذي ينيخ بكله على أجزاء من الجغرافية العربية فحسب، بل لأن الرواية نفسها، وبرمتها، ترمز إلى حكاية الشعب المدوخة مع السلطة في الوطن العربي، حكاية علي الحوات الذي حاول الوصول إلى القصر حاملاً لسلطانه سمكة كبيرة تعبيراً عن غبطته بإخفاق المثلثين في اغتياله وهو يمارس الصيد، والذي ما لبث أن اكتشف أن رجال هذا القصر ليسوا سوى حفنة من (قطاع الطرق و اللصوص والمجرمين والقتلة والسفّاكين) جابر، وسعد، وسعيد، أخوته الثلاثة، ونقيضه، الذين اتخذوا من الغابة وكرأ لهم ينطلقون منه لارتكاب المزيد من الشرور والآثام، بعد أن تلطخت أيديهم بدماء الأطفال والعجائز والفقراء²¹.

كما نجد أن مجتمع القرى السبع وفي رواية "الحوات والقصر" يعاني من تسلط القصر و بطش رجال السلطان خاصة إذا حاول أحد منه الإساءة إلى القصر وحتى دون ذلك فرجال السلطان كثيراً ما كانوا ما يجبرون سگانها على التخيير بين أمرين كلاهما مَرّ: تسليم من يسيء إلى القصر، أو الفتك بأربعة من أفراد المجتمع فحين دخل علي الحوات القصر وجده "شاهداً على الطغيان والجبروت"²²، ويشي بذلك قول الرواية "استعادة البصر قهر لمن أفدكم إياه"²³، فإذا كان "هناك ظلم. فلا جدوى من التحفظ. ولا جدوى من الاستسلام. الظالم لا يشبع، والقهر ليس له نهاية، مثلما أن الذل لا حدود له"²⁴. فالسلطان. "لا يمكن أبداً أن يعرف شفقة أو عطفاً"²⁵، و "له أساليب جهنمية للإطلاع على كل ما يهت ويدب في السلطنة"²⁶، ورجاله صفتهم "النهش فالننهش ثم لا شيء غير النهش"²⁷، ولم يكن هم القصر إلا الحفاظ على استمرارية ولاء المجتمع إن بإرادته وإن بالقمع والإذلال فيكون أفراداً في مستوى الذل والولاء المطلوب من العبد²⁸. فأنأي السلطان يتبدى جلياً - بل القصر ككل - عن مشاكل القرى السبع حيث كانوا ينظرون إلى الرعية وكأنها قطعان ماشية أو أسراب طيور أو مجموعة خنافس أو كتيبة من الدواب أو هذه جميعها....²⁹.

فالأسطورة - مع كثرة غناها بالرموز - هي التي مكنت الروائي العربي من تعرية الواقع حوله دون مواجهة مباشرة مع القوى الحاكمة له.

كما يمكن أن في "الجازية والدرأيش" تقول حينها القضية تأويلاً سياسياً يكمن في نظرة الحاكم إلى الرعية على أنها ماتزال لم تبلغ درجة النضج الفكري الذي يؤهلها لمناقشة شؤون الدولة على اعتبار أن الجازية تمثل الرعية، لذلك عليها البحث عن الثبته لتبقى صغيرة... كما يمكن أن تقول الجازية بالجزائر، إذ تكاد حروف اسمها تتطابق و اسم الجزائر.... وقد كانت الشخصية المحورية في الرواية. وفي "حارسه الظلال" نتساءل عن حراسة الظلال والظلمة؟ ونظن كذلك أن الترميز هنا هدفه تبيان حالة الجزائر المكسورة الجريحة المريضة، التي تنتظر المهدي المنتظر عسى ولعل وربما يخرجها من الظلام، ويمسك بيدها موجهها إياها إلى الطريق القويم.

²⁰ - عبد العالي رزاق. حوار مع الطاهر وطار. ص 88.

²¹ - نضال صالح. النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة. ص 98-99.

²² - الطاهر وطار. الحوات والقصر. ص 73.

²³ - المصدر نفسه. ص 88.

²⁴ - المصدر نفسه. ص 98.

²⁵ - المصدر نفسه. ص 73.

²⁶ - المصدر نفسه. ص 56.

²⁷ - المصدر نفسه. ص 59.

²⁸ - المصدر نفسه. ص 67.

²⁹ - المصدر السابق. ص 77.

ولا نطن استحضار الروائي لأسطورة سيزيف في "حارسة الظلال" كما سبق ورأينا ،إلا ليعبر ترميزا على هذا البلد الجريح الجزائر ،الذي لا يكاد يخرج من محنه إلا وتنزل به النكبات، التي تعلن عن عودته إلى مبدأ الإحداثيات، التي يمكن إن نصفها بالزمنية فالمكانية لا محالة ثابتة .

وما استحضار الروائي لأسطورة " الموت والانبعث " في "حارسة الظلال" من خلال "طائر الفينيق" الذي يعمر ألف سنة، وبعد انتهائها (الألف)، ينبعث في عشه لهيب فيؤدي به إلى الحرق ، لكنه يكون قد ترك بيضة يعاود منها الحياة والانبعث والتجدد بعد كل موت³⁰. وقد تمثلت في الرواية في قوله:"السر الكبير في هذا البلد هو قوته اللامتناهية على التجدد والولادة ، من أشلائه وآلامه يعيد خلق نفسه باستمرار في اللحظة التي يظن فيها الجميع ،الأصدقاء و الأعداء ،أنه انتهى ،ينشأ من رماده"³¹. إلا للدلالة عن الجزائر المحونة ،إذا فهي تنتفض وتقوم وتتبعث بعد كل موت ،وهكذا فإذا كان هناك ما يوحي بالموت، فهناك في المقابل دوما ما يبعث على الأمل ويوحي بالانبعث والتجدد والاستمرار والديمومة .

وهكذا فإن عودة الروائيين الجزائريين إلى الأسطورة وتوظيفها في رواياتهم بقدر ما تنأى بالنص الأدبي عن الواقع فتجره أحيانا إلى شيء من العبثية واللامعقول بقدر ما تسهم في التصويب الجيد إلى الهدف المنشود عن بعد ،شأنها شأن الناطح السريع فإن لم يصب هدفه لأول وهلة وجب عليه توسيع الدائرة لإعادة الكرة لأن القوة الطاردة المركزية تقف له بالمرصاد. وهي تقابل السلطة اليوم... فقط لا يجب أن ننسى البعد الفني الجمالي.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة.

1. لطفي عبد الوهاب يحيى. الأسطورة والحضارة والمسرح. في مأساة أوديب ملكا. مجلة عالم الفكر. مج 16. عدد 3 . الكويت. 1985.
2. عبد الحميد بن هذوقة، الجازية والدرأويش. دار الآداب . ط2. بيروت. 1991.
3. ينظر الموقع الإلكتروني: <http://membres.multimania.fr>
4. عبد العالي رزاق. حوار مع الطاهر وطار. منشورات النادي الثقافي. جدة. السعودية. ط1. 1985.
5. فراس السواح. مغامرة العقل الأولى. دار الكلمة للنشر. بيروت. 1981.
6. الطاهر وطار. الزلزال. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط3 الجزائر. 1980.
7. عبد الملك مرتاض. عناصر التراث الشعبي في اللاز. الدار التونسية للنشر. تونس. 1989.
8. سليمان الطراونة. المثقف و السلطة. أفكار . ع 125 عمان . 1996.
9. نجيب محفوظ. حول العدل و العدالة ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية . القاهرة . 1996 .
10. خالد خضر .الأسطورة و الإبداع مدخل و إشكالات في الأسطورة و الإبداع . جائزة الشارقة للإبداع العربي . دائرة الثقافة و الإعلام . 1998.
11. بدر عبد المحسن طه. تطوّر الرواية العربية الحديثة في مصر . 1938 - 1970 . " دار المعارف. ط2. القاهرة. 1968.
12. خليل أحمد خليل. مضمون الأسطورة في الفكر العربي. . دار الطليعة. ط3 بيروت. 1986 .
13. واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ،، دار كنعان. دمشق. 1993.
14. شكري عزيز ماضي، إنعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، بيروت، 1978
15. زهور ونيسى. لونجة والغول. مطبعة دحلب. الجزائر. 1983.
16. محمد شاهين . الأدب و الأسطورة . بيروت . المؤسسة العربية للدراسات و النشر . ط1. 1966 .
17. الطاهر وطار . الشمعة والدهاليز . منشورات التبيين. الجاحظية. الجزائر. 1965 .
18. نضال صالح. النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة. . دار الألفية للنشر والتوزيع. ط1. 2010.
19. الطاهر وطار. الحوات والقصر . المؤسسة الوطنية للكتاب. ط2. الجزائر. 1980.
20. غزوان أحمد علي. الأسطورة بين الدين والفكر و الشعر المعاصر. مجلة الموقف الأدبي. مجلة أدبية شهرية تصدر عن إتحاد الكتاب العرب. بدمشق. العدد 368 كانون الأول 2001. منزلة الكتروني في الموقع: www.Awu-dam.org
21. واسيني الأعرج. الأعمال الكاملة. منشورات السهل. المجلد 1.1 المجلد 4. الجزائر. 2009.

³⁰ - غزوان أحمد علي. الأسطورة بين الدين والفكر و الشعر المعاصر. مجلة الموقف الأدبي. مجلة أدبية شهرية تصدر عن إتحاد الكتاب العرب. بدمشق. لعدد 368

كانون الأول 2001. منزلة الكتروني في الموقع: www.Awu-dam.org .

³¹ - واسيني الأعرج. الأعمال الكاملة. المجلد 4. ص 190 .